الا رحمة اي فنحن ننقذهم ان شئنا رحمة منا اي لم لا لوجوب عليهم
علينا ولا لمنفعة تعود منهم الينا ومتاعا اي وتمتعنا اياهم بلذاتهم الى حين
اي الى انقضا اجالهم واذا قيل لهم اي من اي قايل كان اتقوا ما بين ايديكم
اي من عذاب الدنيا كغيركم وما خلفكم من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون
تعاملون معاملة المرحوم بالاكرام وقال ابن عباس ما بين ايديكم
يعني الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها
وقال قتادة ومقاتل ما بين ايديكم وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما
كان خلفكم من عذاب الاخرة تنبيهان احدهما الا رحمة منصوب على المفعول
له وهذا استثنا مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر
بفعل مقدر وقيل على اسقاط الخافض اي الا برحمة والفا في قوله تعالى
فلا صريخ رابطة لهذه الجملة بما قبلها فالضمير في لهم عايد على المغرقين
ثانيهما جواب اذا محذوف تقديره اعرضوا يدل عليه قوله بعده الا
كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زايدة وما تاتيهم من اية
من ايات ربهم اي المحسن اليهم الا كانوا اي مع كونها من عند من غمرهم
احسانه وعمهم فضله وامتنانه عنها معرضين اي دايما اعراضهم
واذا قيل لهم اي من اي قايل كان انفقوا اي على من لا شي له شكر الله
على ما اعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا
بضعفايكم انما رحم الله تعالى من عباده الرحما وبين تعالى انهم يبخلون
بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله الذي له
جميع صفات الكمال قال الذين كفروا اي ستروا وغطوا ما دلهم على انوار
عقولهم من الخيرات للذين امنوا اي استهزا بهم انطعم من لو يشا الله اي
الذي جميع العظمة كما زعمتم في كل وقت يريد اطعمه وذلك ان المومنين
قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه من اموالكم انه لله وهو
ما جعلوه لله من حروثهم واموالهم قالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه
لكنا ننظره لا يشا ذلك فانه لم يطعمهم مما رزقهم من فقرهم فنحن ايضا
لا نشا ذلك موافقة لمراد الله فيه فتركوا التادب مع الامر واظهروا
التادب مع بعض الارادة المنهي عن الجري معها والاستسلام لها
وهذا ما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه وهذا الذي
يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا
فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله
ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض الله له في مال الغني ولا اعتراض
لاحد في مشية الله وحكمه في خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن ارشدهم
الله تعالى الى الخيرات ان اي ما انتم الا في ضلال اي محيط بكم مبين

اي في غاية

اي في غاية الظهور وما دروا ان الضلال انما هو لهم فان قيل قولهم من لو يشا الله اطعمه كلام حق فلما ذا ذكر في معرض الذم اجيب بان مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد فبين ذلك تعالى بقوله سبحنه مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصح امره بالاعطا لان من كان له مع الفقرا مال وله في خزانته مال لمخبران اراد اعطى مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطا ولا يجوز ان يقول من في يده ماله في خزانته اكثر مما في يدي اعطه فان قيل ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انتفق على من لو يشا الله رزقه لانهم امروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا انتفق فلم قالوا انطعم اجيب بان هذا بيان في غاية مخالفتهم لانهم انما امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وهذا كقول القايل لغيره اعط زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك هنا تنبيه انما وصفوا المومنين بانهم في ضلال مبين لظنهم ان كلام المومنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه وهذا اشارة الى ان الله ان شا ان يطعمهم اطعمهم فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل وان لم يشا اطعامهم لا يقدر على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشا الله ~~اطعمه وهذا اشارة~~ فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تامروننا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا ان اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب نسب الى انه يريد ان يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزاينه وقد تقدم ما له بهذا تعلق ويقولون اي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم متى هذا وزادوا في الاستهزا بتسميته وعدا فقالوا الوعد اي البعث الذي تهددوننا به تارة تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا ان كنتم صادقين فيه قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة ولشدة حقارة شانهم وتمام قدرته بقوله تعالى واحدة وهي نفخة اسرافيل الاولى للهبة

Copyright © King Saud University